بسم الله الرحمن الرحيم

الإستمساك بالعروة الوثقى بين الكفر والايمان

دكتور/

جمال محمد سعيد عبد الغنى

كلية أصول الدين – جامعة الأزهر

مقدمة : -

ان هدف كل مسلم يبتغي رضوان ربه ويكون له الصلاح في الدنيا والفلاح في الاخرة هو أن يكون ممسكا بالعروة الوثقىالتي لا إنفصام لها والعروة يعني بها كما سيتضح فيما بعد هي الاسلام او الايمان او القرآن والتي لا ينفك عنها أبدا ويكون ممسكا بها ملتصقا بعروتهاالتي لا تزحزحه قدر أنملة عما تمسك به ولا يتأتى هذا الاستمساك بالعروة الوثقى الا بتحقيق شرطين هامين هما الكفر بالطاغوت والايمان بالله فالاستمساك بالعروة الوثقى لا يتحقق الا بين هذين الشرطين بين الكفر والايمان والمقصود بكفر الطاغوت هو ان يكفر الانسان بكل ما عبد من غير الله والذى عبد من غير الله كثير وكثير منها

١- الجمادات والنباتات وبعض الحيوانات وايضا بعض البشر خصوصا الصالحون والانبياء منهم يأتي على رأسهم السيد المسيح والعزيز عليهم السلام الى جانب عبادة الملائكة والشياطين والاجرام السماوية وكل ذلك يمكن درجة وادخالة تحت مسمى الطاغوت لكن هناك مشكل وهو إدخال الملائكة و والمسيح والعزير عليهم وبعض الصالحين تحت هذا المسمى وهو الطاغوت حيث ان كل ما عبد من غير الله سيكون حصبا لنار جهنم وهذا ما سيتضح من خلال هذا البحث فى حل هذا المشكل.

وما يقصد بالضبط من حقيقة مسمى الطاغوت والكفر به .

أما الايمان بالله فيبدو انه مشكل ايضا خصوصا بين العلماء والفرق الاسلامية الذين إختلفوا في تحديد معنى مسمى الايمان هل هو الايمان القلبى من تصديق وحسب ؟، او هو الايمان القلبى مع الاقرار باللسان؟: أم هما معا مع الالتزام بالاعمال وهذا ما سنتناولة فى هذا البحث من إلقاء الضوء على تلك الاراء مستخلصا الرأى الصواب الذى سار عليه سلفنا الصالح رضى الله عنهم وارضاهم مما أوصلهم الى الاستمسكاك بالعروة الوثقى التى لا إنفكاك عنها تحقق لهم الصلاح فى الدنيا والفلاح فى الاخرة بمشيئة الله عز وجل فنالوا رضوان الله .

حقيقة العروة الوثقى

إذا تأملنا للمعنى اللغوى للفظ العروة وجدنا انها تشير الى أذن الكوب (او أذن الكوز) وهى التى يمسك بها حتى لا يقع.

(العروة) القميص والكوز وهى معروفة) (١)

ويقصد باذن الكوز اى المقبض الذى ذكرنا انه يمسك منه حتى لا ينفك فلايقع

(العروة من الدلو او الكوز مقبضة والوثقى مؤنث الاوثق اى الاقوى (٢)

والمقصود بهذا التشبية اى الاستمساك بالعروة الوثقى التى لا إنفكاك لها هو الاستمساك بالدين الذى هو الاسلام بالايمان به إيمانا يقينيا بقبولة والتسليم له بمحبة الى جانب الولاء لمن تمسك بذلك، والبراء من كل من عداه

ذكر الامام أبن منظور فى لسان العرب

ان عروة الدلو او الكوز مقبضة وعرى المزادة أذانها وعروة القميص مدخل زرة، وعرى القميص واعراه جعل له عرى، وفى الحديث : لا تشد العرى إلا الى ثلاث مساجد وهى جمع عروة، يريد عرى الاحمال والرواحل وعرى الشيء اتخذ له عروة وقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها شبه بالعروة التى يتمسك بها قال الزجاج : العروة الوثقى قول الا اله الا الله وقيل معناه عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله حجة (٣)

فالتمسك بعقيدة لا إله الا الله نافيا كل الارباب مثبتا لله عز وجل كل ما يليق بجلال وجهه من توحيد ربوبية وتوحيد الوهية وإثبات صفاته وأسماءه كما من علينا بنعمة معرفة ذلك من خلال نصوص القرآن وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ولا نستطيع أن نقصر معنى العروة الوثقى بقول لا اله إلا الله وحسب، بل إن سلفنا الصالح قد فهموها

١- محمد ابو بكر الرازى / مختار الصحاح ص ٤٢٩ طبعة دار المعارف بالقاهرة

٢- محمد فريد وجدى / المصحف المفسر / مطبعة الشعب ص٥٥

٣- إبن منظور لسان العرب ط دار صادر بيروت لبنان ج ١٥ ص٤٥

كل حسب ما إرتآه من تفسير للعروة الوثقى وكلها صحيحة وموصلة الى معنى واحد وهو الاستمساك بهذا الدين السمح القيم ، فمنهم من ذهب الى ان العروة الوثقى معناها الايمان وبعضهم فسرها بأنها الاسلام وبعضهم ذكر ان معناها قول لا إله إلا الله وبعضهم فسرها بإنها هي القرآن والاستمساك به وبعضهم فسرها بانها هو الحب في الله والبغض في الله بغية التقرب الى رضوان الله وقد أورد الامام إبن كثير رضى الله عنه في تفسيره تلك الاراء وزاد بروايتين من السنة المطهرة تفسر بصورة واضحة معنى العروة الوثقى (قال ابن كثير فقد استمسك بالعروة لا إنفصام لها) أى فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هى نفسها محكمة قوية وربطها قوى شديد ولهذا قال(فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ...الايه) قال مجاهد:- العروة الوثقى يعنى الايمان وقال السدى :- وهو الاسلام وقال سعيد بن جردي والضحاك يعنى لا إله الا الله وعن انس بن مالك العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن ابى الجعد قال هو الحب في الله والبغض فى الله وكل هذه الاقوال صحيح ولا تنافى بعضها بعضها وقال معاذ بن جبل في قولة (لا انفصام لها) دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبير (فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ثم قرأ (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال الامام احمد :- انبأنا اسحق بن يوسف حدثنا بان عوف عن محمد بن قيس بن عبادة قال كنت فى المسجد فجاء رجل فى وجهة اثر من خشوع فصلى ركعتين اوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من اهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزلة فدخلت معه فحدثته فلما أستأنس قلت له ان القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما ينبغى لاحد ان يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم: أنى رأيت رؤية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه رأيت كأنى فى روضة خضراء- قال إبن عون فذكر من خضرتها وسعتها - وفى وسطها عمود حديد اسفلة فى الارض واعلاه فى السماء فى "أعلاه عروة فقيل لى أصعد عليه فقلت لا أستطيع فجاءنى منصف - قال إبن عون هو الوصيف - فرفع ثيابى من خلفى فقال أصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال إستمسك بالعروة فإستيقظت وإنها لفى يدى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال، أما الروضة فروضة الاسلام أما العمود فعمود الاسلام واما العروة فهى العروة الوثقى انت على الاسلام حتى تموت) قال وهو عبد الله بن سلام اخرجاه فى

الصحيحين من حديث عبد الله بن عون فقمت اليه واخرجه البخارى عن محمد بن سرين.

طريق اخرى وسياق اخر قال الامام احمد :- انبانا حسن بن موسى وعثمان قال حماد بن سلمة عن عاصم ابن بهدلة عن المسيب بن رافع عن خرشة بن الحر قال قدمت المدينة فجلست الى مشيخة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فجاء شيخ يتوكأ على عصا فقال القوم :- من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقلت له :- قال بعض القوم كذا كذا فقال :- الجنة لله يدخلها من يشاء وانى رأيت على عهد رسول رؤيا كان رجلا أتانى فقال انطلق فذهبت معه فسلك بى منهجا عظيما فعرضت لى طريق الى جبل زلق فأخذ بيدى دحا: بى فإذا انا على ذروته فلم أتقار و لم أتماسك فاذا عمود حديد فى ذروته حلقة من ذهب فأخذ بيدى فدحا: بى حتى اخذت بالعروة فقال :- استمسك فقلت نعم فضرب العمود برجلة فاستمسك بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه فقال (رأيت خيرا اما النهج العظيم فالمحشر واما الطريق التى عرضت عن يسارك فطريق اهل النار ولست من اهلها واما الطريق عن يمينك فطريق اهل الجنة واما الجبل الزلق فمنزل الشهداء واما العروة التى استمسكت بها فعروة الاسلام فإستمسك بها حتى تموت قال فانما ارجو ان أكون من اهل الجنة قال :-واذا هو عبد الله بن سلام وهكذا رواه النسائى عن احمد بن سليمان عن عفان وابن ماجة عن أبى بكر بن ابى شيبة عن الحسن بن موسى الاشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه واخرجة مسلم فى صحيحة من حديث الاعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزارى به (١)

ومن هنا كله نستخلص ان ديننا الحنيف قد حثنا على الاستمساك بهذا الدين بأن نؤمن به ونستسلم بقولنا وعقولنا وجوارحنا لله رب العالمين ملتزمين اوامر ونواهى القرآن والسنة محافظين على عقيدتنا من أى شائبة بان تكون خالصة لوجه الله وقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله ، موالين كل من إستمسك بتلك العروة الوثقى ومبرأين ومعادين كل من خلف ذلك.

١- ابن كثير تفسير القرآن العظيم / طبعة دار التراث العربي الجزء الاول ص ٣١١ الى ٣١٢

ولكي يمكننا الاستمساك بالعروة الوثقى هذه يجب تحقيق شرطين هامين وهما ان نكفر بالطاغوت والانداد وكل ما سوى الله من معبود والاخر ان نومن بالله حق الايمان من علم وتصديق بعقولنا بالله رب العالمين وبقلوبنا تسلم وتقبل ونحب و نبغض كله فى الله ولله، مصدقين على ذلك بألسنتنا حتى يعلم من حولنا بما فى عقلونا وقلوبنا وتصدق على ذلك جوارحنا بألا يكون هناك تناقض لما نقول وندعى والا نجحد أمر معلوم من الدين بالضرورة وأن نلتزم بقدر المستطاع بكل أوامر الله ونواهية وهذا هو الايمان.

قال الامام الطبرى :- جعل الله تعالى الايمان الذى يتمسك به العبد المؤمن بالله الكافر بالطاغوت من اوثق عرى الاشياء بقولة الوثقى(١) فالشرطين السابقين هما اساس للاستمساك بالعروة الوثقى التى لا إنفصام لها من كفر بالطاغوت وايمان بالله طبقا لقول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم (٢)

والمطلوب الان هو الوقوف على معرفة حقيقة هذين الشرطين، حقيقة الطاغوت، وحقيقة الايمان وهذا ما سيتضح فى الصفحات الاتية بمشيئة الله عز وجل.

وقبل توقفنا على حقيقة الطاغوت لابد من وقفة يسيرة امام معنى الكفر ومغزاه فى اللغة وفى الشرع.

حقيقة الكفر

الكفر يأتى بمعنى الجحود والخروج من الملة ، ويأتى بمعنى النكران للنعمة وفى الاصل الكفر بمعنى الستر، يقال :

(كفر بالله (يكفر) (كفرا)(وكفرانا)

وكفر النعمة وبالنعمة ايضا جحدها وفى الدعاء ولا نكفرك الاصل ولا نكفر نعمتك وكفر بكذا تبرأ منه وفى التنزيل انى كفرت بما اشركتمونى من قبل وكفر بالصانع نفاه

١- ابو جعفر بن جرير الطبرى الجامع فى تفسير القرآن العظيم دار القرآن بيروت ج٥ ص ٤١٧
٢- سورة البقرة ايه ٢٥٦

وعطل وهو الدهرى والملحد وهو كافر وكفرة وكفار كافرون والانثى كافرة وكافرات وكوافر وكفرته كفرا) سترته (١)

والكفر ضد الايمان يقال امنت بالله و كفرت بالانداد والطاغوت

(الكفر : نقيض الايمان، أمنا بالله وكفرنا بالطاغوت، كفر بالله يكفر كفرا وكفورا وكفرانا ويقال لأهل دارالحرب قد كفروا اى عصوا وامتنعوا)

والكفر : كفر النعمة وهو نقيض الشكر والكفر: جحود النعمة وهو ضد الشكر وقوله تعالى (إنا بكل كافرون) اى جاحدون وكفر نعمة الله يكفرها كفورا وكفرانا وكفر بها جحدها وسترها وكافرة حقة. ورجل مكفر اى رجل مجحود النعمة مع احسانه ورجل كافر : جاحد لانعم الله مشتق من الستر وقيل لانه مغطى على قلبه (٢)

وقد صنف اهل العلم الكفر على اربعة اوجه وهم كفر الانكار، كفر الجحود، وكفر المعاندة، كفر النفاق.

قال إبن منظور

فأما كفر الانكار فهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد وكذلك روى فى قوله تعالى : (ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) اى الذين كفروا بتوحيد الله وأما كفر الجحود فأن يعترف بقلبة ولا يقر بلسانه فهو كافر جاحد ككفر ابليس وكفر امية بن ابى الصلت ومنه قوله تعالى : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعنى، كفر الجحود، وأما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقلبة ويقر بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا ككفر ابى جهل واضرابه.

وأما كفر النفاق بأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد بقلبه ، قال الهروى : سئل الازهرى عمن يقول بخلق القرآن انسميه كافرا ؟ فقال : الذى يقوله كفر فأعيد عليه

١- احمد بن محمد بن على الفيومى / المصباح المنير ج١ المكتبة العلمية /بيروت لبنان ص٥٣٥

٢- ابن منظور / لسان العرب المحيط / قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلى اعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب بيروت ج٣ ص ٢٧٣

السؤال ثلاثة ويقول ما قال ثم قال في الآخر قد يقول المسلم كفرا . قال شمر : الكفر ايضا بمعنى البراءة كقول الله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته اذا دخل النار : انى كفرت بما اشركتمون من قبل ، اى تبرأت وكتب عبد الملك الى عسيد بن جبير يسأله عن الكفر فقال : الكفر على وجوه : فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله وكفر بدعاء ولد لله وكفر مدعى الاسلام وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله ويسعى فى الارض فسادا ويقتل نفسا محرمة بغير حق ثم نحو ذلك من الاعمال كفران : احدهما كفر نعمة الله والاخر التكذيب بالله) (١)

ومما سبق نخلص الى ان انواع الكفر اربعة

النكران والجحود والمعاندة والنفاق

يضاف اليها كفر التبرأ وهو كفر ورد على لسان ابليس وتبرأه من المشركين يوم القيامة ومنهم من صنفه على تصنيفات اخرى وهى اتخاذ شريك لله وكفر بإنكار القرآن وجحوده وكفر نفاق بان يدعى الاسلام وقلبة منه برىء .

وكل هذه التصنيفات لا تخرج عن قسمى الكفر ونوعيه وهما كفر النعمة وجحودها وكفر الانكار والتكذيب لله

وتتعدد مسميات الكفر وكله ملة واحدة يتلون ويتجدد ويتغير تحت هذه الاسماء المختلفة وإذا بحثنا فى حقيقة الكفر فى الاصطلاح العقائدى الاسلامى وجدنا كثير من التعريفات والاختلافات لحقيقة الكفر وهذا راجع الى عدم اتفاق العلماء والفرق لحقيقة الايمان والايمان مقابل للكفر وان الكفر عند كل طائفة مقابل لما فسروا به الايمان

قال سعد الدين التفتازانى فى المقاصد : الكفر عدم الايمان عما من شأنه

وهو اعم من التكذيب لشموله الكافر الخالى عن التصديق والتكذيب وقال القاضى : وهو الجحد بالله وفسر بالجهل، ورد بأن الكافر قد يعرف الله ويصدق به والمؤمن قد لا يعرف بعض احكامه فأجيب بأن المراد الجحد به فى شىء مما علم قطعا انه من احكامه او

١- المرجع السابق ج٣ ص ٢٧٣

الجهل بذلك إجمالا وتفصيلا وقالت المعتزلة: وهو قبيح او اخلال بواجب يستحق به اعظم العقاب وفيه خفاء ظاهر (١)

والكفر نسبي بحسب وجهة نظر كل فرقة للايمان فالفرقة التي تقول ان الايمان هو التصديق قالت ان الكفر هو عدم التصديق اى التكذيب والتي قالت انه التصديق والاقرار قالت : الكفر هو عدم الاقرار فضلا عن التكذيب والتي قالت الاعمال داخله في حقيقة الايمان مع التصديق والاقرار قالت : ان هناك افعال دالة على كفر صاحبها وهذا الافعال قرينة كفر ظاهر حتى ولو وجد عنده التصديق القلبي من امثلة تلك الافعال حرق المصاحف او القاءة في القاذورات أو شد الزنار بالاختيار فهذه افعال كفرية وقرينه دالة على ذلك رغم تصديقة بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

لو سلمنا إجتماع التصديق المعتبر في الايمان مع تلك الامور التي هي كفر وفاقا فيجوز ان يجعل الشارع بعض محظورات الشرع علامة التكذيب فيحكم بكفر من ارتكبة وبوجود التكذيب فيه وانتفاء التصديق عنه كالاستخفاف بالشرع وشد الزنار وبعضها لا كالزنا وشرب الخمر ويتفاوت ذلك الى متفق عليه ومختلف فيه ومنصوص عليه ومستنبط من الدليل وتفاصيله في كتب الفروع وبهذا يندفع إشكال اخر وهو ان صاحب التأويل في الاصول أما ان يجعل من المكذبين فيلزم تكفير كثير من الفرق الاسلامية كأهل البدع والاهواء المختلفين من اهل الحق. واما ان لا يجعل فيلزم عدم تكفير المنكرين لحشر الاجساد وحدوث العالم وعلم البارى بالجزئيات فأن تأولاتهم ليست بابعد من تأويلات اهل الحق للنصوص الظاهرة في خلاف مذهبهم وذلك لان من النصوص ما علم قطعا من الدين انه على ظاهره فتأويله تكذيب للنبي بخلاف البعض ثم لا يخفى ان المراد التكذيب او عدم التصديق من المكلف ليخرج الصبي العاقل الذى لم يصدق او صرح بالتكذيب واما عند القائلين بصحة إيمانه، وبأنه يكفر بصريح التكذيب وان لم يكفر بترك التصديق فالمراد التكذيب ممن يصح منه الايمان وعدم التصديق ممن يجب عليه الايمان (٢)

١- سعد الدين التفتازاني / شرح المقاصد ج٥ عالم الكتب بيروت لبنان / مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ص٢٢٥

٢- المرجع السابق ج٥ ص ٢٢٦

وإذا قلنا ان الكفر هو الجحود بالله فإننا نجد معترض يقول ان كثير من الكافرين عارفين بالله تعالى مثل ابليس واليهود وعلى ذلك فالكفر فى راى هو عدم قبول وتسليم ومحبة كل ما يرد عن الله من اوامر ونواهى والكافر يخلو قلبه من محبة كلام الله ويخلو قلبه ايضا من خوف الله والرجاء فيه والولاء لكل من آمن به والبراء من كل من عداه ، فهذه كلها علامات ودلالات توحيد الالوهية وهو صرف ادنى العبادة لله من قبول ومحبة وتسليم وخوف ورجاء وولاء وبراء من الله والى الله والكافر ليس فى قلبه اى شيء من هذا بل هو فقط عالما بالله مصدقا به و العلم والتصديق بعيدان عن القلب والله سبحانه وتعالى لا يريد من عباده الا قلوب سليمة مليء عما سبق ذكره من قبول ومحبة وتسليم وخوف ورجاء وولاء وبراء لله رب العالمين وتلك الاشياء لا يمكن ان تأتى معها قرائن كفرية اما التصديق والعلم فمن الممكن ان يأتى معه بافعال كفرية تكون قرينه على كفر بواح مثل الامثله سابقة الذكر

فالكافر لديه توحيد ربوبية فقط فهو يعلم ان الله هو الخالق الرازق المحيى المميت مثل علم وتصديق إبليس بأن الله له عزة وقد أقسم به وأن هناك يوم يحاسب فيه الخلائق وهو يوم البعث، وايضا علم وتصديق اليهود بوجود الله ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهم غير مصدقين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالمين ، الى جانب علم وتصديق الكفار بأن الله خالقهم وخالق السماوات والارض والامثلة من القرآن كثيرة وعديدة

قال تعالى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) (١)

(قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) (٢)

(ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله)(٣)

(ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) (٤)

١- سورة ص اية ٨٢

٢- سورة ص ٧٩

٣- سورة لقمان ايه ٢٥ وسورة الزمر ايه ٣٨

وخلاصة ما قيل فى الكفر هو (الكافر ان اظهر الايمان خص باسم المنافق وان كفر بعد الاسلام بالمرتد وان قال بتعدد الالهة فالمشرك وان تدين ببعض الاديان فبالكتابى (وان اسند الحوادث الى الزمان واعتقد قدمة فبالدهرى وان نفى الصانع فبالمعطل وان ابطن عقائد هى كفر بالاتفاق فبالزنديق)(١)

والواضح ان الكافر هو الساتر لحقيقة الايمان فلا أمان له ، وأما اذا اظهر الايمان وابطن الكفر فهو المنافق الذى لا عهد له أما اذا اعلن تنصله من هذا الايمان وعدم قبوله بعد ان اظهرة فهو مرتد وهو حكم الاسلام فيه القتل .

اما الذى يدعو من دون الله اندادا شركاء كالولد او الصاحبة او ما شابه ذلك فهو المشرك .

أما الكتابى او اهل الكتاب فهم اللذين اطفو على شركهم مسحه دينيه بها ايمان بالمغيبات خصوصا الكتب السماوية والانبياء والرسل .

اماالدهرى فهو الذى يقول بقدم الزمان ويقول ان الارحام هى التى تقذف بنا فى هذه الحياة وفى النهاية تبلعنا الارض وما يهلكنا الى الدهر فهم دهريون .

أما المعطل فهو الذى يعطل صفة من صفات الله قولا ويعطل فعلا صريحا اورده النص الشريف.

أما الزنديق فهو الذى يبطن ويستر داخل نفسه عقائد كفريه ويظهر للناس خلاف ذلك فهو باطنى منافق وهؤلاء منسوبون الى مذدك الزنديق الذى ظهر فى البيئة الاسلامية مجددا العقائد المجوسية الزردشتية التى ظهرت من قبل فى فارس -إيران حاليا -

وبعد وقفنا على حقيقة الكفر يجدر ان يتطرق بنا الحديث الان عن الكفر بالطاغوت فما هو هذا الطاغوت ؟

٤- سورة الزخرف ايه ٩

١- المرجع السابق / ج٥ ص ٢٢٧

حقيقة الطاغوت

إختلفت الاراء في تفسير معنى الطاغوت، وهو الشرط الاول في تحقيق الاستمساك بالعروة الوثقى، ان نكفر بالطاغوت فما هو هذا الطاغوت ؟ هناك كثير من الاراء التي تفسر معنى الطاغوت واذا استعرضنا تلك الاراء لبعض المفسرين وبعض العلماء لوجدناها لا تخرج عن فهم سلفنا الصالح رضي الله عنهم وارضاهم الذين فهموا معنى تلك الكلمة من خلال نصوص القرآن الكريم التي اوردت اسم الطاغوت ، وقد ورد هذا الاسم من خلال خمس سور هم البقرة والنساء والمائدة والنحل والزمر في ثماني مواضع مختلفة وهي قوله تعالى :-

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى) (١)

وقوله تعالى (والذين كفروا اولياتهم الطاغوت) (٢)

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) (٣)

(يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) (٤)

وقوله تعالى (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) (٥)

وقوله تعالى (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)(٦)

وقوله تعالى(أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٧)

وقوله تعالى (والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد) (٨)

١- سورة البقرة اية ٢٥٦

٢- سورة البقرة اية ٢٥٧

٣- النساء اية ٥١

٤- سورة النساء اية ٦٠

٥- سورة النساء اية ٧٦

٦- سورة المائدة اية ٦٠

٧- سورة النحل اية ٣٦

٨- الزمر اية ١٧

ونحن نستأنس بفهم السلف الصالح لتلك الايات ولنا فيهم اسوة حسنة وقد إستعرض اهل اللغة والمفسرون وكثير من العلماء فهم السلف الصالح وسوف نعرض انفا بعضا من هؤلاء :-

اولا: في اللغة قال ابن منظور

الليث الطغيان والطغوان لغة فيه والطغوى بالفتح مثله والفعل طغوت وطغيت والاسم الطغوى ابن سيده طغى يطغى طغيا ويطغوا طغيانا جاوز القدر وارتفع وعلا فى الكفر وفى حديث وهب ان للعلم طغيانا كطغيان المال اى يحمل صاحبة على الترخص بما اشتبه منه الى ما لا يحل له ويرتفع به على من دونه ولا يعطى حقة بالعمل به كما يفعل رب المال وكل مجاوز حده فى العصيان...

وفى التنزيل العزيز :(ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وطغى يطغى مثله وأطغاه المال اى جعله طاغيا. وقوله عز وجل(فأما ثمود ثمود بأهلكوا بالطاغية) قال الزجاج : الطاغية طغيانهم اسم العاقبة والعافية. وقال قتادة : بعث الله عليهم صيحة

وقيل : اهلكوا بالطاغية اى بصيحة العذاب وقيل اهلكوا بالطاغية اى بطغيانهم وقال ابو بكر :- الطغيا البغى والكفر وانشد :

وإن ركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث

وقال تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وطغى الماء والبحر: ارتفع وعلا على كل شيء فأخترقه. وفى التنزيل العزيز :(إنا لما طغى الماء حملنا كم فى الجارية). وطغى البحر : هاجت امواجة. وطغى الدم تبيغ. وطغى السيل اذا جاء بماء كثير وكل شيء جاوز القدر فقد طغى كماطغى الماء على قوم نوح وكما طغت الصيحة على ثمود (١)

ولفظ طاغوت يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وأصل وزن طاغوت طغيوت على وزن فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقاءها فأصبحت طيغوت على وزن فلعوت ثم قلبت الياء الفا فصارت طاغوت

١- ابن منظور لسان العرب ج ١٥ ص٨

قال ابن منظور:

(الطاغوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث :- ووزنه فعلوت انما هو طغيوت قدمت الياء الفا قبل الغين. وطاغوت، وان جاء على وزن لا هوت فهو مقلوب لانه من طغى. ولا هوت غير مقلوب لانه بمنزلة الرغبوت والرهبوت، واصل وزن طاغوت طغيوت على وزن فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصار طيغوت ووزنة فعلوت ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت، وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت، قال الليث : الطاغوت تاؤها زائدة وهي مشتقة من طغى، وقال ابو اسحاق : كل معبود من دون الله عز وجل جبت وطاغوت ، وقيل الجبت والطاغوت الكهنة والشياطين، وقيل في بعض التفسير : الجبت حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديان، قال الازهري وهذا غير خارج عما قال اهل اللغة لانهم اذا اتبعوا امرهما فقد اطاعوهما من دون الله وقال الشعبي وعطاء ومجاهد : الجبت: السحر، والطاغوت : الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال قد يكون واحدا (١)

ثانيا : ذكر الفيروز آبادي

في القاموس المحيط ان الطاغوت الات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة اهل الكتاب للواحد ،والجمع فعلوت من طغوت والجمع طواغيت وطواغ والجبت حيي بن الاشرف واطغاه جعله طاغيا والطغوة المكان المرتفع (٢)

ثالثا الطبري : ذكر في تفسيره

قولة تعالى، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ...الاية

(اختلف اهل التأويل في معنى الطاغوت فمنهم من قال هو الشيطان في الحديث ٥٨٣٤ رواه ابو اسحاق البيعي ان الطاغوت هو الشيطان)

١- المرجع السابق ج ١٥ ص ٨

٢- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي / القاموس المحيط ط مصطفى الحلبي ج٤ ص ٣٥٨

وقال اخرون هو الساحر فى الحديث رقم ٥٨٤١ عن محمد بن يسار قال حدثنا عوف عن محمد قال الطاغوت : الساحر

ومنهم من قال هو الكاهن

فى الحديث رقم ٥٨٤٥ حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابى جريج فمن يكفر بالطاغوت قال كهان تنزل عليها شياطين يلقون على السنتهم وقلوبهم وقال اهل الطاغوت الطغوت من قال قائل طغا فلان يطغوا اذا علا قدرة فتجاوز حده كالجبروت من التجبر(١)

وفى تفسير اية النساء فى قول الله تعالى (الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)

قال الامام الطبرى :- الجبت والطاغوت هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وفى الحديث رقم ٩٧٦٤

ذكر ان الجبت والطاغوت هما صنمان (٢)

رابعا: ذكر الامام القرطبى فى تفسيره عن

قول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بـا لله فقد إستمسك بالعروة الوثقى) فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله جزم بالشرط والطاغوت مؤنثة من طغى ويطغى وحكى الطبرى يطغوا اذا جاوز الحد بزيادة عليه ووزنه فعلوت ومذهب سيبوية انه اسم مذكر مفرد ومذهب ابو على مصدر كرهوت وجبروت وهو يوصف به الواحد والجمع وقلبت لامه الى موضع العين وعينه موضع الام كجبذ وجذب فقلبت الواو الفا - لتحركها وتحرك ما قبلها فقيل الطاغوت واختار النحاس هذا القول وقيل اصل طاغوت فى اللغة مأخوذة الطغيان يؤدي معناه من غير اشتقاق كما قيل الالء من الؤلؤ قال المبدر هو جمع وقال ابن

١- ابو جعفر ابن جرير الطبرى جامع تفسير القرآن الكريم ج٥ ص ٤١٦ دار القرآن الكريم بلبنان
٢- المرجع السابق ج٨ ص ٤٦١

عطية مردود وقال الجوهرى والطاغوت الكاهن والشيطان وكل راس فى الضلال وقد يكون واحدا قال الله (يريدون ان يتحاكموا)- النساء ٦٠

وقد يكون جمعا قال تعالى (اولياءهم الطاغوت) -البقرة ٧ ٢٥

والجمع طواغيت (١)

وذكر الامام القرطبى فى تفسيره موضع آخر للفظ طاغوت من سورة النساء فى قول الله تعالى يرديون ان يتحاكوا الى الطاغوت

قا ل الضحاك دعا اليهود المنافق الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب ابن الاشرف وهو الطاغوت قال ابو صالح عن عباس قال كان بين رجل من المنافقين يقال له بشر وبين يهودى خصومة فقال اليهودى إنطلق بنا الى محمد قال المنافق بل الى كعب بن الاشرف والذى سماه الله الطاغوت او ذو الطغيان فابى اليهودى ان يحاكمة الا الى رسول الله فلم راى ذلك المنافق اتى معه الى رسول الله فقضى لليهودى فلما خرج قال المنافق لا ارضى انطلق بنا الى ابو بكر فحكم لليهودى فلم يرضى وقال إنطلق بنا الى عمر فأقبلا عمر فقال اليهودى ان صرنا الى رسول الله ثم الى ابى بكر فلم يرضى فقال عمر للمنافق أكذالك هو ؟ قال نعم رويدك حتى أخرج اليكما فدخل اخذ السيف ثم ضرب به المنافق وقال هكذا اقضى على من لم يرضى بقضاء الله وقضاء الرسول وهرب اليهودى وقال رسول الله انت الفاروق ان عمر فرق بين الحق والباطل (٢)

خامسا: ذكر العلامة نظام الدين النيسابورى

فى تفسير هذه الاية فمن يكفر بالطاغوت ..... الاية

قال عمر : ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العلى الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس ولعله كل ما عبدوه من دون الله

١- القرطبى /الجامع لاحكام القرآن دار الكتب المصرية للطباعة والنشر ج٣ ص ٢٧٩

٢- المرجع السابق ج٥ ص ٢٦٣

قال ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء اسباب للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقولة (رب انهن اضللن كثيرا من الناس)

ويعلم من قوله (فمن يكفر بالطاغوت) ثم من قوله (ويؤمن بالله ان الكافر لابد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك) (١)

٧ فالتخلية مطلوبة قبل التحلية بمعنى ان درء المفسدة مطلوب تقديمها وهى الكفر بالطواغيت قبل جلب المنفعة وهى الايمان بالله حتى يتم بهماالوصول الى الاستمساك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها

سادسا: ابن كثير

ذكر ابن كثير فى تفسير قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله

اى من خلع الانداد والاوثان وما يدعو اليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبد وحده وشهد ان الا اله الا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى فقد ثبت فى امره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم ثم قال ... قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الجبت السحر واالطاغوت. الشيطان وان الشجاعة والجبن غرائز تكون فى الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من امه وان كرم الرجل دينه وحسبة وخلقة وان كان نارسيا او نبطيا ومعنى قوله فى الطاغوت انه الشيطان قوى جدا فانه يشمل كل شر كان عليه اهل الجاهلية من عبدة الاوثان والتحاكم اليها اوالاستنصار بها (٢)

سابعا: تفسير رشيد رضا فى كتاب المنار

فقد أورد ان من دواعى الاستمساك بالعروة الوثقى الكفر بالطاغوت وهو المسبب فى الطغيان وتجاوز الحد ويكون الامتثال الى هذا الطاغوت سببا للعصيان والخروج عن دائرة الايمان

١- العلامة نظام الدين الحسن بن حسين القمى النيسابورى/ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان دار الريان ص ٢٠ ج٢

٢- عماد الدين ابن كثير تفسير القرآن العظيم دار التراث العربى ج١ ص ٣١١

قال الاستاذ رشيد رضا :-

فمن يكفر بالطاغوت اى كل ما تكون عبادته والايمان به سببا للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ورئيس يقلد و يتبع (ويؤمن بالله) فلا يعبد الا اياه ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه يرجوه ويخشاه لذاته ولما سنه من الاسباب والسنن فى عباده

(فقد إستمسك بالعروة الوثقى) اقول :- اى فقد طلب وتحرى بإعتقاده وعمله ان يكون ممسكا باوثق عرى النجاة واثبت اسباب الحياة او فقد اعتصم باوثق العرى وبلغ فالتمسك بها قال الاستاذ الامام : الاستمساك بالعروة الوثقى هو الاستقامة على طريق الحق القويم الذى لا يضل سالكه كما ان المتعلق بعروة هى اوثق العرى واحكمها فلا يقع ولا يفلت (١)

ثامناً : رأى الامام محمد بن عبد الوهاب فى معنى الطاغوت قال:

(اعلم رحمك الله تعالى ان اول ما فرض الله على ابن أدم الكفر بالطاغوت والايمان بالله والدليل قوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فأما صفة الكفر بالطاغوت ان تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر اهلها وتعاديهم

وأما معنى الايمان بالله ان تعتقد ان الله هو الاله المعبود دون سواه وتخلص جميع انواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه وتحب اهل الاخلاص وتواليهم وتبغض اهل الشرك وتعاديهم وهذه ملة ابراهيم التى سفه نفسه من رغب عنها. وهذه هى الاسوة التى أخبر الله بها فى قوله تعالى : (قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذا قلوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

والطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود اومتبوع او مطاع فى غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة

١- محمد رشيد رضا تفسير المنار طبعة دار المنار سنة ١٣٢٤هجرية ج٣ص٣٧

الاول : الشيطان الداعي الى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى :(ألم أعهد اليكم يابني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين)

الثاني : الحاكم الجائر المغير لاحكام الله والدليل قوله تعالى :- (ألم تر الذين يزعمون انهم أمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا)

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى :(ومن لم يحكم بما أنزل الله فاؤلئك هم الكافرون)

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله والدليل قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين ديه ومن خلفه رصدا)

وقال تعالى :(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)

الخامس :الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة والدليل قوله تعالى :- (ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)

واعلم ان الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى :(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم) الرشد دين محمدصلى الله عليه وسلم والغي دين ابي جهل والعروة شهادة ان لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والاثبات تنفي جميع انواع العبادة عن غير الله وتثبت جميع انواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له (١)

فهذه انواع خمسة قصرها إبن عبد الوهاب رضي الله عنه في عباة الشيطان والحاكم الجائر الذي يتحاكم الى الطاغوت ومن لا يحكم بما انزل الله والذي يدعي علم الغيب من دون الله والذي يعبد من دون الله وهو راض ولي تعليق على النقطة الثالثة وهي الطاغوت الذي يحكم بما لم ينزل به الله وقد استدل محمد بن عبد الوهاب باية النساء ومن لم يحكم

١ محمد بن عبد الوهاب / مجمعة التوحيد دار الفكر ص ١٠ و ١١

بما انزل الله فأولئك هم الكافرون وللامانة العلمية اقول :-هذا الكفر كفر نعمةوهو غير مخرج من الملة فهو كفر دون كفر وهذا الرأى منسوب لابن عباس وقاله احمد ابن حنبل وان شئت ارجع الى تفسير الاية ..

قال ابن تيمية فى كتاب الايمان :-

قالوا : فمن قال : ان ترك التصديق بالله كفر، وان ترك الفرائض مع تصديق لله انه قد أوجبها كفر، ليس يكفر بالله، وإنما هو كفر من جهة ترك الحق، كما يقول القائل : كفرتنى حقى ونعمتى ، يريد : ضيعت حقى وضيعت شكر نعمتى قالوا : ولنا فى هذا قدوة بمن روى عنهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين اذ جعلوا للكفر فروعا دون اصله لا ينقل صاحبة عن ملة الاسلام كما أثبتوا للايمان من جهة العمل فروعا للأصل لا ينقل تركة عن ملة الاسلام من ذلك قول ابن عباس فى قولة :

(ومن لم يحكم بما أ نزل الله فأولئك هم الكفرون) المائدة اية ٤٧

قال محمد بن نصر : حدثنا إبن يحى ؛ حدثنا سفيان بن عينه ، عن هشام بين حجير ، عن طاووس ، عن عباس : (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) ليس بالكفر الذى يذهبون اليه (١)

فهو كفر دون كفر ، اى كفر كفر غير مخرج من الملة ، بل هو كفر نعمة ونكران وسيتضح ذلك أكثر في موضعه بمشيئة الله فى تحقيق معنى الطاغوت

تاسعا : ما ذكرهالشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب فى كتاب تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد

أن الطاغوت كل ما عبد من غير الله وهو غير راض عن تلك العبادة مثل المسيح والعزيز والملائكة عليهم السلام

فهم غير راضين عما قام به المشركين عباد هؤلاء وهم برءاء مما فعلوه، الى جانب الاحجار والجمادات التى تسبح بحمد الله ولاترضى بما يفعله الحمقى من عبادة لهم فكل هذه المعبودات لسيت طواغيت لانه غير راضية عن تلك العبادة

---

١ - تقى الدين احمد بن تيمية / الايمان ص ٣٠٩ طبعة المكتب الاسلامى

قال : الشيخ سليمان الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد ، وقد فسره السلف ببعض أفراده. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الطاغوت : الشيطان. وقال جابر رضى الله عنه : الطواغيت : كهان كانت تنزل عليهم الشياطين. رواهما بان ابى حاتم. وقال مجاهد : الطاغوت : الشيطان فى صورة الانسان، يتحاكمون اليه وهوصاحب امرهم. وقال مالك : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله.

قلت : وهو صحيح لكن لابد فيه من استثناء من لا يرضى بعبادته

وقال ابن القيم : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون الى غير الله ورسوله او يعبدونه من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة الله فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت احوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن اعرض عن عبادة الله الى عبادة الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته

وأما معنى الاية و فأخبر تعالى انه بعث فى كل امة اى : فى كل طائفة وقرن من الناس بهذه الكلمة : ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت أى : اعبدوا الله وحده

عبادة ما سواه ، ولهذا خلقت الخليقة وارسلت الرسل و وانزلت الكتب و كما قال تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه الا اله الا أنا فاعبدون) الانبياء٢٥ وقال تعالى : (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إاليه أدعو واليه مآب) الرعد ٣٦ وهذه الاية هى معنى : الااله إالا الله ، فإنها تضمنت النفى والاثبات كما تضمنته لا اله الا الله ففى قوله : (اعبدوا الله) الاثبات ، وفى قوله (أجتنبوا الطاغوت) النفى ، فدلت الاية على انه لابد فى الاسلام من النفى والاثبات ، فيثبت العبادة للله وحده وينفى عبادة ما سواه وهو التوحيد الذى تضمنته سورة قل يا ايها الكارون) الكافرون : ١ وهو معنى قوله : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) البقرة ٢٥٦

قال ابن القيم : وطريقة القرآن فى مثل هذا أن يقرن النفى بالاثبات فينفى عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته و وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفى المحض ليس بتوحيد وكذلك

الاثبات بدون النفى فلا يكون التوحيد الا متضمنا للنفى والاثبات وهـذا حقيقة لا الـه الا الله انتهى (١)

عاشرا: ماذكره الشيخ عبد الرحمن ال الشيخ فى كتاب فتح المجيـد على كتاب شرح التوحيد

حيث قال عبد الرحمن ال الشيخ :-

قوله ولقد بعثنا فى كل أمه رسولا ان اعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت

الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الطاغوت الشيطان .

وقال جابر رضى الله عنه : الطاغوت كهان تنزل عليهم الشياطين وراهما ابن ابى حاتم وقال مالك : الطاغوت كل ما عبد دون الله

قلت : وذلك المذكور بعض افراده . وقد حده العلامة بن القيم حدا جامعا

فقال : الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده : من معبود او متبوع او مطاع فطاغوت كل قوم : من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله او يعبدونه من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة الله

فهذه طواغيت العالم. اذا تاملتها وتاملت أحوال الناس معها. رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى الى عبادة الطاغوت وعن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته

وأما معنى الاية : فأخبر تعالى انه بعث فى كل أمة طائفة من الناس رسولا بهذه الكلمة (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) أى أعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها) وهذا معنى (لا اله الا الله) فانها هى العروة الوثقى (٢)

١- الشيخ سليمان عبد الله بن محمد عبد الوهاب / تيسر العزيز الحميد ط المكتب الاسلامى ص ٤٩ - ٥٠ - ٥١

٢- عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ / بفتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد ط المكتب الاسلامى ص١٩

فشرط التوحيد وأصله ان يكون متضمنا النفي والاثبات ، النفي بالنسبة للكفر بالطاغوت نفي كل الالهة التي تعبد من دون الله. والاثبات هي عبادة الله سبحانه بالايمان به وقبول احكامه والتسليم لها ومحبتها وملأ القلب بالرجاء والمحبة والخوف كله لله ومن الله.

وبعد هذا العرض لبعض النحويين اباب اللغة ولبعض المفسرين ولبعض العلماء الذين اجمعوا الرأى على حقيقة الطاغوت وهذا ما سأوضحه من خلال نقاط متابعة تبين تحقيقي لماهية الطاغوت والله المستعان.

التحقيق لمعنى الطاغوت

أولا: الطاغوت في اللغة

يأت مفردا وجمعا ومذكرا ومؤنثا فمثال المفرد الواحد قول الله تعالى (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به) وتأتي جمعا مثل قول الله تعالى (والذين كفروا اؤلياؤهم الطاغوت ويخرجونهم من النور الى الظلمات)

وتأتي في المؤنث مثل قوله تعالى :(والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها)

انه مشتق من طغا وتقديره طغوت ثم قلبت الواو الفا وقال النحويون وارباب اللغة : وزنه فعلوت والتاء زائدة

ويرى اصحاب اللغة ان اصل الطاغوت الطغوت من قول القائل طغا فلان يطغوا اذا عدا قدره فتجاوز حده الجبروت من التجبر والخلبوت من الخلب ونحو ذلك من الاسماء التي تأتي على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء

الطاغوت في الاصطلاح

بتتبع أراء اللغويين والمفسرين وبعض العلماء اللذين ادلوا بدلوهم في تعريف معنى الطاغوت فقد وجدت انها لا تخرج عن ان الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود او متبوع او مطاع في غير الله ورسوله فهو طاغوت

مثل الشيطان والكاهن والساحر وكل راس في الضلال كحيى بن أخطب وكعب بن الاشرف ووقد استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤس الضلال ولافراطهما في الطغيان واغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت

ثالثا : من وقوفنا على معنى الطاغوت في الاصطلاح الشرعي وجدنا ان المسيح عيسى بن مريم طاغوت النصارى وان عزيرا هو طاغوت اليهود وان الملائكة طواغيت من يعبدونهم كما زعم بذلك احد المجادلين(١) المنتسبين الى اهل الشرك والضلال بمكة فتعالى الله عما يقول المشركين علوا كبيرا

رابعا –يجب التفريق بين ثلاثة نقاط متباينة وهم

أ– أن المسيح وعزير والملائكة وكل ما يعبد من دون الله وهو غير راض عن هذه العبادة فلا يندرج تحت مسمى الطاغوت

---

١ – قال تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

قال ابن اسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم , واقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله الزبعرى : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب انفا وما قعد وقعد زعم محمد انا وما نعبد من الهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى : اما والله لو وجدته لخصمته , فسلوا محمدا : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة , واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن = الزبعرى ورأوا ان قد احتج = وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عيه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده, انهم انما يعبدون الشياطين ومن امرتهم بعبادته فأنزل الله تعالى عليه في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما إشتهت انفسهم خالدون) أي عيسى بن مريم وعزيرا ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من اهل الضلالة ارباب من دون الله / ابن هشام / السيرة النبوية ج١ص٣٥٩